

الفصل الثاني

مصدر التوجيه

إذا كانت الغرائز في الإنسان من جانب تنازع العقل نيه من جانب آخر ،
فأى ضمان يحفظ التوازن بين النوعين ؟ .

لأن كل نوع منهما إذا استأثر بالتأثير ، دون مشاركة الآخر اياه فيه ،
وصل بالإنسان الى وضع لا يتفق وطبيعته .

... فإذا استأثرت الغرائز عجز الإنسان عن تحقيق السيادة في عالم
وجوده ،

... وإذا استأثر العقل عجز الإنسان عن تحقيق بقائه الشخصي
والنوعى معاً .

ولا يرفع التنازع في طبيعة الإنسان ، ويحفظ التوازن بين النوعين من
القوى فيه . . . سوى **التوجيه** . إذ أن التوجيه عامل مكون للحكم ولقوة
أخرى في الإنسان ، تباشر تنفيذ ما يستقر عليه حكم العقل ، وهي قوة
الإرادة ، التي من شأنها أن تحيل الرأي الى عمل ، والأمل الى حقيقة .

فوظيفة الغرائز في مسيرها في الطبيعة الانسانية تثير الرغبات
والشهوات ، ثم تلج على الإنسان في السعى لتحصيلها . والعقل بعد ذلك
في مسيره في تلك الطبيعة ينظر في هذه الرغبات والشهوات ، ويحلل عناصرها ،
ويجمع الوسائل لتحصيلها ليختار واحدة منها أو أكثر ، لتحقيق ما يراه ممكناً ،
أو جديراً ، أو ماله أولوية من بين هذه الرغبات والشهوات .

... والعقل اذ ينظر ويحلل ، ويجمع الوسائل ويرجح ، يقوم بعملية التفكير . وتنتهي هذه العملية بالارادة ، التي تنقل الفكر ، والرأى ، والحكم ، الى حيز العمل والوجود الواقعى .

... وحكم العقل ، وعمل الارادة معاً ، كلاهما يرتبط بالتوجيه فى مجالات الصواب والخطأ ، والاستقامة والاضطراب . اذ التوجيه هو الذى يحدد الاطار الذى يدور فيه العقل بتفكيره ، وهو كذلك الذى يقدم الوقائع التى يستند عليها فى هذا التفكير . . وهو اخيراً الذى يخترن حصيلة التجارب السابقة ويوفرها ، للرجوع اليها عند حاجته ايهاا .

... والعقل اذن قوة للموازنة والترجيح ... وصحة حكمه : ان توقفت على مدى استيعابه ومدى عمقه فيما يزن وفيما يرجح ، تتوقف ايضاً على سلامة ما يوجه به .

... والارادة : ان كانت قوة للتنفيذ فى الانسان ، فصحة ما تحمل عليه من تصرف أو سلوك فى المجال العملى : ان توقف على صلاحيتها ... يتوقف كذلك على صحة الحكم وصحة التوجيه نفسه .

واذن : فالتوجيه ، وان لم يكن عاملاً فطرياً فى الانسان كالفرائز والعقل ... فانه يؤدى دوراً رئيسياً فى حياة الانسان . واليه فى النهاية يرجع تعبير الانسان فى سلوكه وتصرفه ، عن مدى منزلته فى الانسانية .

والانسان ، كإنسان تؤثر فيه الفرائز ، والعقل ، والارادة ، والتوجيه . وعمله الذى يتسم بطابع الانسانية يرتبط بالدور الذى تؤديه كل واحدة من هذه القوى تادية سليمة . وعمله بالتالى الذى يجاقى الانسانية ، يأتى نتيجة لعدم أداء احدى هذه القوى أو بعض منها ، دورها طبقاً للوضع السليم لها . والتوجيه السليم الآن ضرورة حتمية للانسان ، كى يبلغ مستوى انسانيته فى التفكير ، والتطبيق .

فأى مصدر للتوجيه يؤدى هذا الدور ؟ .

الفلسفة فى التوجيه :

الآ يمكن للفلسفة أن تقوم بدور التوجيه السليم ؟

الآ يمكن لحصيلة الفكر الانسانى ، فى تاريخه الطويل . . أن يعين الانسان على اختيار الحكم الصحيح ، وتطبيق السلوك السوى ، واتخاذ الموقف الرشيد ؟ .

ان الفلسفة مجموعة من الاتجاهات الفكرية ، والمدارس العقلية المختلفة ، يتوغل عليها علماء يحاولون في تفكيرهم أن يجنبوا أنفسهم التأثير بالأهواء والعوامل البيئية المحلية ، ويحملوها على التجرد لخير الانسانية ، في عهود مختلفة وفي مجتمعات عديدة ، وفي اجواء متنوعة .

لماذا لا تكون الفلسفة مصدر توجيه صحيح ، وهى خلاصة العقل المجرد ، الذى ابتغى الخير وحده ؟

... ان الفلسفة تدعى ذلك منذ نشأت ، وتدعى ذلك حتى الآن تدعى تجردها في التفكير ... وتدعى أيضاً سلامتها في التوجيه ... وخصمت في هذا الادعاء مصادر توجيه أخرى : كالدين .. وما زالت تخاصمه . وفي خصومتها للدين وصلت الى أن أنكرت قيمته ، بعدما تأثرت به ، وبعد أن حافظت على كثير من مبادئه ، منذ عهد الإغريق حتى فجر النهضة الأوروبية ، وفي الاتجاهات المثالية ... الى الاتجاهات المادية ... حتى اللاحادية .

... الى أى مدى كان صدق الفلسفة في ادعائها التجرد من التأثير بالهوى ، وبالرغبات الخاصة ، وعوامل البيئة المحلية ، واستهدافها العقل الانسانى العام ، وما يخطئه ويهدى به البشرية ؟

ان التجرد في التفكير من كل عوامل التأثير ، عدا ما يتصل بالانسانية خالصة ، .. يقتضى وحدة الاتجاه فيه ، ووحدة النتائج ، ووحدة التوجيه ويتضى أن تكون هناك فلسفة وليس أنواعاً منها ، وربما متناقضة يقتضى أن يكون هناك معيار واحد للتقييم ، وليست معايير مختلفة يقتضى أن يكون ادراك الوجود عن طريقها ، وبالأخص : ادراك الانسان ، ادراكاً يسير في خط مستقيم ، وليس في خطوط غير متوازية .

بم تفسر الفلسفة اختلاف مدارسها : من ميتافيزيقية ، وطبيعية ، ولاأدرية ، ومنطقية ، وبصرية ، ومادية ، ومثالية ، والحادية ، والهيبة ؟

وبم توضح اختلاف الفلاسفة فيها : بين وضعيين واقعيين ، ومثاليين انسانيين ، وأصحاب نزعة اجتماعية اشتراكية ، وأخرى فردية حرة ، ومن لهم ميول جبرية ، وأخرى اختيارية ، ومن يرى القيمة ، والحق ، والخير في العزوف عن هذه الحياة الدنيا ، ومن يرى ذلك ... في السعى الى الدنيا وحدها والحرص على متعتها ؟

ان الاختلاف في المدارس الفلسفية ، وفي اتجاهاتها يعبر عن اختلاف العوامل التى يقع التفكير تحت تأثيرها . والاختلاف في الميول والنزعات بين

الفلاسفة ، يدل أيضاً على اختلاف البيئات التي عاشوا فيها ، وتأثروا بجوها ومحيطها .

والاختلاف هنا وهناك ، أمانة على أن الفكر الانساني لم يستطع أن يرتفع فوق مستويات البيئات ، وفوق العوامل التي تدعو الى الاختلاف في آثارها ونتائجها . . . لم يستطع أن يتجرد من التأثير ، فيكون حراً . . . فيما يصل اليه من معايير للتقييم .

وتبعاً لذلك : تكون لاتجاهات المدارس الفلسفية قيم محدودة ، واعتبارات لا تأخذ الطابع العام . . . وتكون لنزعات الفلاسفة أيضاً ، هذه القيم والاعتبارات الخاصة المحدودة .

ومعنى ذلك : كل مدرسة فلسفية : اعتبارها مرتبط بالعوامل التي أثرت فيها . . . وكل فيلسوف في نزعته يقدر حسب ما عاش فيه ، وتأثر به في نزعته وميله .

ولذا لا ينبغي لأية مدرسة ، أو لأي فيلسوف ، أن يدعى الصلاحية العامة لما أتى به من تفكيره ، من حيث نفعه وافادته للبشرية . . . من حيث هي بشرية :

لأن البشرية لها خصائص وسمات مشتركة ، لا توجد في مجموعة دون أخرى ، ولا في جنس دون آخر ، ولا في وطن ومكان دون وعن ومكان آخر . . . بل توجد في الجميع بدون استثناء . والبشرية من حيث هذه الخصائص المشتركة : ما يعتبر هنا لصالحها يجب أن يعطى جوانبها جميعاً ، دون أن يكون قاصراً نفعه على بعض من الناس دون بعض آخر منهم .

ان التنافر في وجهات النظر بين المدارس الفلسفية ، وكذا بين الفلاسفة في نزعاتهم من شأنه : أن يضعف من قيمة التوجيه ، لو جعلت الفلسفة مصدر توجيه . . . ومن شأنه أن يفرق بين سبيل التوجيه وغاياته في المجتمع الانساني بصفة عامة . وليس من مصلحة الانسانية أن تنتشر فيها بذور الفرقة ، باسم التوجيه وبدافع منه .

. . . ماذا يكون الوضع في البشرية : لو نشئت مجموعة من الناس أو المجتمعات على أساس من المادية . . . وأخرى على أساس من الميكانيكية . . . وثالثة على أساس النفعية . ورابعة على أساس المثالية . وخامسة على أساس تبعية الحرية للمجتمع . وسادسة على أساس تبعية حرية المجتمع لحرية الأفراد . . . وسابعة على أساس من نزعة العزوف عن متع هذه الحياة . . وثامنة على أساس من نزعة الحرص على هذه المتع

وتحصيلها ، دون رعاية لحرمة ، أو لوضع فرد آخر في الحياة ...
وهكذا ... ؟

ان الوضع عندئذ : هو وضع الخصومة والعداء ، والطائفية ، ونزعة
الحقد التي تصحبها . وهل من سلامة التوجيه أن تزرع العداوة والبغضاء
في النفوس عن قصد ، وفي رعاية لها ؟

ان التوجيه عندئذ يبعد الانسان عن غايته ، التي هي : السلام
والاطمئنان .. ويحول بين العقل الانساني وأداء وظيفته ، وهي الحكمة التي
هي مصدر الخير . ولا خير وراء السلام والاطمئنان في العلاقات البشرية .

ان هناك عداوات .. وهناك أحتقاداً في النفوس قائمة فعلاً . ولكن فرق
أن تغرس الأحتقاد عن قصد انساني باسم مصلحة انسانية : هي التوجيه ..
وأن تكون هذه الأحتقاد موجودة كرواسب بسبب خطأ الانسان ، أو بسبب
سوء تصرفه أو لمصلحة شخصية مستترة ، تعمل الارادة الانسانية الخيرية
على ازالتها ، أو اضعافها على الأقل في المجتمع البشري .

ان الصراع بين الشرق والغرب الآن : سببه اختلاف الفلسفة في
اتجاهها ، واختلاف نزعة الفلاسفة فيما يتصدون اليه .

.. ان الشيوعية الدولية ، وانظام الديمقراطية الغربي نسما العالم
الانساني الى كتلتين متخاصمتين ، لا تثق احدهما بالأخرى ، بل تتربص كل
منهما بالثانية .

.. ان الايديولوجية الاجتماعية ، والأخرى الفردية ، حرما العالم
الانساني في عصرنا اليوم من : اطمئنان النفس ، وبالأحرى سبباً له : القلق
والاضطراب ، من أجل المصير والمستقبل ، ووجها الانتاج البشري الى
التخريب والتدمير ، وأرغما « العلم » على أن يعبد الطريق لفناء الانسانية
كلها ، بدلا من أن يسعى لرفاهيتها واسعادها بالسلام ، وتوفير أسباب
الحياة الهادئة .

ان هاتين الايديولوجيتين سخرأ الانسان وعقله ، وتجاريه لخدمة
الشر ، وسخرأ منه بقدر ما سخرأه . ولكل منهما انصار وأعوان . والانسانية
تتحمس نور الأمل فلا تراه ، وتفتش عن الاستقرار في ركن ما فلا تجده
والانسان الآن يعيش من أجل لقمة العيش ، وقلما يحصلها في يسر ، بعد أن
كان يعيش من أجل رسالته الخاصة به .

ان الانسان بسبب الصراع بين الفلسفتين في وقتنا الراهن ، أصبح يعبأ
للاعتداء ، بعد أن كان يعبأ لرفع العدوان ... انه أصبح يطأطء هامته الى

بطنه وفرجه ، بعد أن كان يرفعها شامخاً ومترفعاً عن نصفه الأدنى كله ،
وعن ما يشتهيهِ ويطلبه من أجل البطن والفرج .

... انه أصبح يساق بسبب الفقر ، والجوع ، والحاجة ، في نظام
فلسفى ... بينما أصبح يستذل من أجل محافظته على بقائه ، بحكم الغريزة
والفطرة في نظام فلسفى آخر .

من يسلم : بأن أحد الاتجاهين الفلسفيين : اتجاه الشيوعية ، أو اتجاه
الديمقراطية ... يصبح وحده مصدراً للتوجيه للبشرية ، سوى أصحاب
الاتجاه وأتباعه ؟

من يرى في المجتمع الانسانى العالمى ان يبقى كلا الاتجاهين في وضع
علاقتهم الراهن ، سوى المنتفع بالخصومة والعداوة بينهما ؟ .

من يعرف مصير البشرية في مجال هذه الخصومة ، سوى المنجم
أو الكاهن ؟ ... من يعرف مصير هذه الانسانية ، مع تقدم العلم خطوات
في يومه ، ثم في غده ، عنه في أمسه ... في سبيل زيادة الخوف والقلق ،
والدمار والهلاك ؟

ان الحرب الباردة بوسائل الاعلام المختلفة بين الأيديولوجيتين : الغربية
والشرقية في عصرنا القائم ، طوعت الانسان بعد أن سلبت ارادته ، بحيث
أصبح يتردد بين اليمين واليسار ، دون أن يكون له إيمان بواحد منهما ،
أو دون أن تكون له رواسب من إيمان بأيهما لا يستطيع الكشف عنه والجمهور به .
... انها جعلته : اما عديم الإيمان والارادة ، أو منافقاً . وكلا الوضعين
للانسان عنوان على ضعفه ومذلتة .

ان ما ينفق في اذكاء هذه الحرب الباردة في أى بلد تتبع احدى الكتلتين ،
أو تشجيع لها ، يكفى للإسهام مساهمة ايجابية في خير المجتمع الذى تقوم فيه .
... ان ما ينفق على الاعداد للحرب القادمة ، أو على الوثاية منها ...
ان ما ينفق على الاعداد المتجدد المستمر لهذه الحرب ، كفيل بأبعاد شبح
الجوع ، والفقر ، من المجتمع الانسانى كله .

... ان نداء العقل الانسانى اليوم بوجود تنظيم النسل ، انقضاء للكوارث
المرتبقة من زيادة عدد السكان في العالم غداً ... دليل على : أن نهاية الصراع
بين الأيديولوجيتين بعيد المدى من جانب ، وعلى أن العقل في هذا النداء كان
متأثراً ببعض العوامل المحلية ، هي عدم مواجهة الدخل القومى للزيادة
التدرجية المستمرة في عدد السكان في بلد ما ، من جانب آخر .

لأن الدول التي لديها امكانيات واسعة في الثروة القومية لا تطلب هذا التنظيم ، ابقاءً على قوة المنافسة في الصراع الأيديولوجي الحاضر . وأن استخدمت بعض وسائل هذا التنظيم في مجتمعات فدواع اجتماعية تقليدية ، أكثر منها اقتصادية .

فتعدد المذاهب الفلسفية اذن ... أمارة على **عدم التجرد في التفكير لصالح البشرية** .

... وهو أمارة أيضاً على : عدم الصلاحية للأخذ بواحد منها ، في جميع المجتمعات الانسانية .

... وفي الوقت نفسه مصدر للشقاق والخصومة ، وجر ويلانها على الانسانية . ودفع أى واحد من هذه المذاهب بقوة السيطرة المادية أو الاقتصادية معناه : اشتباك البشرية في حروب مسلحة أو حروب باردة تستخدم الكذب والتجويه والوعود اللامعة ... وترتكب من اللأخلاقيات ما يذهب بقيمة الانسان في الانسان .

... ان نزعة الفكر الأوروبي منذ القرن الثامن عشر ، الى استقلال الانسان في التوجيه ، واتجاهه فيما بعد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى حماية هذا الاستقلال ، بتحويل الفكر الانساني الى فكر عقائدي ، يدفع الى الايمان به ، فالطاعة اليه ... ان هذا أو ذاك ، قد عقد النزاع بين أيديولوجيتين : الشيوعية ، والديمقراطية في وقتنا الراهن ... وصعب الملازمة بينهما ، أو ترك أمرها الى ارادة الفرد واختياره .

ومن هنا كان : التثبيث في الصراع، والعناد في الخصومة، وجر الانسانية كلها الى الهاوية . وبحكم تعدد المجتمعات ، والبيئات الانسانية ... وبحكم تأثر الأفراد بمجتمعاتهم ، وبيئاتهم ، وبتاريخ هذه المجتمعات والبيئات ، وبأحداثها التي تقع وتؤثر فيها ... لا يوجد تفكير انساني لمفكر في مجتمع ، يتفق مع تفكير مفكر آخر في مجتمع وبيئة أخرى . وقد لا يتفق أيضاً مع تفكير مفكر آخر في نفس المجتمع والبيئة .

ولذا لا تصلح الفلسفة بحكم طبيعتها لأن تكون مصدر توجيه عام ... وبالتالي لا تعين على تحقيق السلام العالمي ، وعلى اقامة العلاقات بين المجتمعات على أسس مشتركة بينها .

على أنه يضاف الى ذلك أيضاً : مما يحول دون الصلاحية العامة للتوجيه الفلسفي ، أن الفيلسوف صاحب التوجيه ، أو صاحب المدرسة الفكرية ، يخضع بحكم تفلسفه الى النقد الفكري . والنقد الفكري ، ان كان مصدر مقعة

للخواص من أصحاب الثقافات ، فانه يعوق الشعبية العامة للاتجاه الفلسفى .
وعندئذ تصبح الفلسفة ضربا من ضروب المنعة ، أكثر منها طريقا يتبع ، أو
وصايا : تطاع ، وتنفذ فى التطبيق العملى .

... توجيه الصحافة ووسائل الاعلام :

**هل نتج الصحافة ووسائل الاعلام الأخرى فى أن تكون مصدر توجيه ،
يعطى العقل الإنسانى جو الحكم الصحيح ، والإرادة النافذة ،
والسلوك السليم ؟ .**

هل تتلانى الصحافة ضعف الفلسفة والأسباب التى أفقدتها صلاحية
التوجيه الإنسانى ؟

ان الصحافة ، والأذاعة ، والتلفزيون ، والسينما ، والمسرح : أجهزة
للتنقل ، ووسائل لاغير . فهى بذاتها لا توجه . وإنما وراءها الإنسان ...
يحملها على نقل ما يريد من الأفكار والاتجاهات ، والمذاهب . وأذن يعود
الأمر الى ما يريده الإنسان ويرغب فى نشره وذيعه .

وفى وقتنا الحاضر تعيش الصحافة ، ووسائل الاعلام الأخرى ، فى
الصراع المذهبى بين الشرق والغرب ... وفى الخلاف بين الأيديولوجية
الشيوعية ، والأخرى الديمقراطية . ولا يمكن أن تباعد عن جوه بحال ، لأن
نظام الحكم فى كل من الكتلتين ... يحتم الاستعانة بها فى الخصومة ، وفى نقل
وجهات النظر المعينة .

... ففى نظام الحكم الديمقراطى الغربى : تقوم شركات لهذه الأجهزة ،
وتشرف على نشاطها فى القلة والربح . وهى لا تغل ولا ترباح ، الا اذا كانت
فى خدمة رأس المال من جانب ، وفى خدمة رغبات الجمهور وفيما يثير ميوله
من جانب آخر .

... وباعتبار كونها فى خدمة رأس المال تكون متحيزة لاحدى وجهتى
النظر ، وتفقد بتحزبها هذا ... الصلاحية العامة للتوجيه .

... وباعتبار كونها فى خدمة رغبات الجمهور واثارة ميوله ، تكون
متحيزة لاحدى القوتين الفطريتين فى الإنسان . وهى قوة الغرائز . وصلاحية
التوجيه مرتبط بخلق الجو السليم لممارسة العقل وظيفته . فاذا كان هذا
التوجيه اقرب الى جانب الغرائز ، فمعنى ذلك : انه فقد الصلاحية . لأن
العقل عندئذ لا يصل الى نتائج سليمة فى حكمه وفى تفكيره .

وهذه الأجهزة الاعلامية فى النظام الديمقراطى الغربى فى اضطرارها

الى التجاوب مع اتجاه الرأسمالية مرة ، ومع ميول الجماهير مرة أخرى ، ليس فحسب ضماناً لبدا الربح ، وانما مع ذلك لاستغلال المال بالصورة التي تلتزمها الرأسمالية في استثمارها للمال ، وهى : وغرة في الربح ، وقلة في الجهود ، ومال ، ولا : انسانية .

وميول الجماهير ليست هى ميول الخاصة من المثقفين . وميول الجماهير يتحكم فيها عادة : الدفع العرزي ، وليس الفكر وريادته . ومن ثم : فالاستجابة اليها تنطوى على ما ينفس عنها ، أو يزيد في تحريكها واثارتها .

... وفي نظام الحكم القائم على الأيديولوجية الشيوعية ، لا تحرك أجهزة الاعلام المختلفة الا في خطوط سير معينة ، وهى خطوط الأيديولوجية نفسها . ورسالة هذه الأجهزة مع تعددها لذلك ... واحدة ، وان اختلفت في صورة الأداء .

... تحاول في النظام الأيديولوجى الماركسى اللينينى أن تخلق وثناً من أشخاص الزعماء ... وديناً وعقيدة من الأيديولوجية الخاصة ، كى تحول دون النقد ، وكى تضى بدلا من النقد على الزعماء والأيديولوجية ذاتها ، هالة من قداسة الخوف والارهاب ، أكثر من قداسة المحبة والاحترام .

... واذن : هى أجهزة في هذا النظام تنقل فكراً صلاحيته محدودة . ومذهباً فلسفياً ليس له اعتباره العام . ولذا لا تستطيع أن تكون وسائل اعلام لتوجيه انسانى ، يرمى خصائص البشرية في أى مجتمع ... وبالتالي يهين الجو السليم لتوازن العقل والفرائز في الانسان ، وتوجيه العقل نحو حكم يسعد الانسان ، ولا يعرضه للمخاطر أو الى الاضطراب والقلق .

... ومع ذلك : اذا كانت أجهزة الاعلام في النظام الديمقراطى الرأسمالى تلائم نفسها مع مقتضيات الفرائز ، تحقيقاً لربح أوفر ... وبذلك قد تنسى تقاليد المجتمع ، ومعايره الأخلاقية في السلوك أو تتجاهلها ... فانها في النظام الشيوعى تحمل على أهم العناصر التى تكون عادة تقاليد المجتمع ومعايره الأخلاقية ، وهو الدين ، تطبيقاً للماركسية ... تحمل عليه . ولا تفتأ في السخرية به . والماركسية هى الفلسفة المادية التى تنادى بإبعاد الدين وتحكم عليه بأنه مادة للتخدير والخداع ، كما تحكم بإبعاد الميتافيزيقيا وخرافتها ، من المجتمع ... على أن يستعين بالعلم وقوانينه ، بدلا من الدين والميتافيزيقيا معاً ..

... ووضع الانسان اليوم في المجتمعات المعاصرة يجعله ملزماً باتباع احدى الأيديولوجيتين ويناصر احدى الكتلتين .. ووسائل الاعلام المختلفة

خاضعة كذلك لأحد الاتجاهين . ومن ثم لا تنتقل الا ماله طابع حزبي في التفكير والتوجيه .

وهذا بدوره يبعد هذه الوسائل عن أن تكون مصدر توجيه لحكم سليم ، ولإرادة قوية ... نحو سلوك انساني مستقيم .

... التربية والتعليم :

سواء في ظل التوميات ، أو في ظل الاتجاه العالمي ، فمحور التوجيه في التربية والتعليم هو .. التاريخ ، وبقية العلوم الانسانية من الفلسفة ، والاجتماع وعلم النفس ، وعلم الأجناس ... وليست العلوم الرياضية أو التجريبية فصلاحية هذه العلوم في مجال التطبيق الصناعي أو الانساني الطبيعي .. دون مجال السلوك والارادة .

أما العلوم الانسانية فقابليتها للاحتمال والتأويل والشرح ، تجعل هناك مجالاً للاختلاف في اتجاهاتها ، وفي تعدد صور النتائج التي تترتب على عرضها .

... وقبل ظهور الصراع الأيديولوجي ، على نحو ما ظهر عليه بعد الحرب العالمية الثانية في مجال المجتمع البشرى ... كانت سيطرة الاستعمار الغربى ... وكانت الدول القوية ، والشعوب الأخرى الضعيفة . وكان جانب القوة هو الجانب الذى يرجح بعض الاحتمالات والتأويلات والتخرجات ، على بعض ... عند عرض التاريخ وأحداثه ، وفي بحث العلوم الانسانية واستخلاص نتائج هذا البحث .

... فكان تاريخ الشعوب الضعيفة ، وكان تراثها في جوانب الفكر ، واللغة يفسر ، على : أن يعطى تفسيره صورة للتخلف البشرى فيه ... كى يفسح مكاناً للحاجة الى قيادة متقدمة في خطوات الانسانية ! وفي مقابل هذا التفسير يفسر تاريخ الدول المستعمرة وانتاجها في الفكر ، واللغة ، بما يجعلها ذات أهلية للتقدم لقيادة المجتمعات والشعوب من أجل اسعاد البشرية نفسها .

... ورواسب هذا العهد ، ما زالت باقية في سياسة الدول الكبرى ، وكذا في نظرتها الى الشعوب حديثة العهد في الاستقلال السياسى . ولأن الدول الاستعمارية كانت هى دول أوروبا ، جعلت من لون بشرتها البيضاء علامة على التقدم وأهلية القيادة ، تبعاً لنتائج البحث الذى وقع تحت تأثير الاستعمار في العلوم الانسانية . وفي مقابل ذلك جعلت الألوان الأخرى ، ما عدا اللون الأبيض ، رمزاً لما : للتخلف ، أو للتقدم المحدود ، الذى لا يعطى الصلاحية الكاملة للقيادة البشرية ! ..

وما زالت مجموعات كبيرة من البشر تعاني بسبب لون بشرتها ، ألوانا عديدة من الاضطهاد ، وكثيراً من صنوف العنت ، حتى في ديارهم القسى وتوطنوها منذ أجيال عديدة .

... ولم تستطع هيئة الأمم المتحدة حتى الآن ، رغم اعلانها حقوق الانسان ، أن تحقق المساواة في الاعتبار البشرى بين شعوب أعضائها ، أو تحتفظ بهذا الاعتبار لمثلى هذه الشعوب فيها طوال اقامتهم في مقر دارها ... في نيويورك .

وبحوث المستشرقين تصور في وضوح .. حزبية التفسير للعلوم الانسانية والغرض الاستعماري في بحث تراث الشعوب التي غلبت على أمرها ، وخضعت للاستعمار فترة من فتراته (١) .

وهذه البحوث نماذج ترى : كيف أن عضلات القوة ، واغراء المادة ، سخر العقل الانساني للتأويل المغرض والمجحف بالانسانية ، تمكيناً لسيادة قوم على قوم ، ليس لهم فضل ولا ميزة الا في السبق والمبادرة الى الصناعة التي جعلت لهم تفوقاً في العدة ، والاعداد على من عداهم .

وفي الوقت الحاضر — بعد عهد الاستعمار ، وفي عصر الصراع الأيديولوجى بين الشرق والغرب — زادت الخبرة واقتنى وراءها الغرض... في تفسير العلوم الانسانية ، وبالأخص في التاريخ منها . وركز الصراع بين الأيديولوجيتين في واقع الأمر على هذا التفسير . كى يكون شاهداً على صحة الأيديولوجية المعينة ، ودليلاً على قيمها .

... والحرب الاعلامية التى بينهما ، هى حرب تفسير وتأويل ... للتاريخ البشرى ... ولللسغة .. والاجتماع ... والادب ، وكل ما يدخل فى نطاق تلك العلوم .

وكتابة المفكرين ، وعلماء التاريخ ، والاجتماع اليوم ، تقوم فى الأكثر على جذب الأحداث الماضية ، وعلى وضع المجتمعات التى تقدمت ، ومذاهب المدارس الفلسفية السابقة ، بعد اعدادها ، لتلائم النتائج التى يراد لها أن تكون حتميات مسلمة للتطبيق الأيديولوجى القائم — سواء فى الشرق أو فى الغرب ... سواء فى كتلة النظام الماركسى اللينينى ، أم فى كتلة النظام الديمقراطى الرأسمالى .

واذن : العلوم الانسانية التى هى محور التوجيه فى التربية والتعليم ،

(١) يراجع كتابنا «الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى».

مشدودة في بحثها وفي استخلاص النتائج منها ، الى طرف أو الى اتجاه
فلسفى ، ايدىولوجى خاص ، دون اتجاه آخر .

ويزيد فى هذا الشد والجذب ، صراع القوميات مع الاتجاه العالمى .
وربما هذا الصراع أيضاً اثر من آثار الاستعمار الغربى . فالشعوب التى
سعت ، وتسعى الى التحرر من سيادة الاستعمار ونفوذه . . . ترجع فى
حركاتها التحررية الى التاريخ القومى ، والتراث الذى خلقه الشعب الذى
غلب على امره فى : الفكر ، والأدب ، والفن ، والدين ، والأخلاق ، وغير ذلك
من العلوم الانسانية : لتستخدمه قوة للتكتل ، وتماسك الوحدة فى الشعب
تجاه المستعمر .

. . . . وهى اذ ترجع اليها لتأخذ منها العون ، تحملها فى التفسير والتخريج
على ما يجعلها مصدر فخر ، ومجد للانسانية ، كى تدفع الجيل القائم الى
الاستمرار فى رسالة الماضى والى التضحية فى سبيلها . . . او على الأقل اذ
ترجع الى ذلك : تذهب عنه التفسير الخاطىء ، الذى عمد اليه المستعمر لتبرير
وصيته وقوامته ، فى البقاء فى مركز القيادة والتوجيه . فيعود الأمر عندئذ
الى طريقته الطبيعى .

وعلى أية حال : تراث أى شعب فى التفكير ، والعلوم الانسانية — وكذا
تاريخه — يميل الى الطابع الخاص بهذا الشعب . فاذا حرك وبعث من جديد
فلا يفقد هذا الطابع . وبذلك يبقى فى صلاحته للتوجيه محدوداً بحدود هذا
الشعب وخصائصه .

. . . اما الاتجاه العالمى فى التربية والتعليم فواقع الأمر أنه ليس اتجاهه
انسانياً ، بقدر ما يحمل خصائص التراث الفكرى والانسانى لدولة من الدول
الكبرى ، أو خصائص مجموعة من الشعوب التى تفرعت عن أصل واحد ،
أو تكون سياسياً وثقافياً جبهة واحدة .

منظمة اليونسكو — احدى منظمات هيئة الأمم المتحدة — خلقت فى
هذه الهيئة الدولية لتباشر وظيفة التقريب بين الشعوب ، عن طريق التربية
والتعليم . وهى بحكم تكوينها ، يغلب عليها الطابع الغربى ، أو طابع الثقافة
العربية ، وهى ثقافة الشعوب التى تؤازر الديمقراطية الرأسمالية ، فى
مواجهة التحدى الشيوعى .

. . . ولذلك كثيراً ما يبرز فى توجيهها الطابع السياسى لهذه الجبهة . .
فيما تخططه فى المحيط العربى من منشآت . . . أو فيما تبعثه من التراث العربى
من كتب . . . أو فيما تعيد كتابته من تاريخ الأمة العربية . فهى وراء كل ذلك

تستهدف خلق جو لبقاء اسرائيل وقبولها ، كاحدى دول الشرق الأدنى . تعيش
في سلام ووثام مع جيرانها ! !

فهذا الاتجاه العالمى لا يستطيع أن يقرب ، عن طريق ثقافة مشتركة ،
بين الأيديولوجية الشيوعية والأيديولوجية الديمقراطية الرأسمالية ، ويحقق
بذلك الوحدة العالية . ثم هو بما يقدمه . . . يقدم لثقافة معينة ، ويتفانى
عن الاتجاهات القومية في التراث الفكرى والانسانى ، وبذلك تصبح صلاحيته
ايضاً صلاحية محدودة .

. . . واذن توجيه التربية والتعليم ، ان صلح لمجتمع أو لبعض
المجتمعات ، فهو لا يصلح لكل المجتمعات البشرية . . . واذا أنشئ مجتمع على
أساس توجيه مجتمع آخر ، أصبح غريباً في نشأته على أرضه الخاصة به . . .
وغريباً في تفكيره . . . وفى سيره في تاريخ مجتمعه الأصيل .

. . . واذن ايضاً : توجيه التربية والتعليم بخصائصه التى له لا يجتاز
الفجوات الفكرية ، والعقيدية والمذهبية ، بين الشعوب . . . بل على العكس :
يبقى عليها ، ويساندها فى تطورها .

ومن هنا لا يستطيع هذا التوجيه أن يهيئ الجو الذى يعين العقل
البشرى على الحكم الصحيح ، وعلى الإرادة الانسانية ، وعلى السلوك
الانسانى ، الذى ينفذ ولا يضر ، ويطنن ولا يقلق ، ويؤاخى ويلائم فى
العلاقات بين الشعوب .

. . . توجيه الأدب والفن :

وإذا انتقلنا الى طبيعة الأدب ، والفن ، لنقف على قيمتهما فى التوجيه ،
وجدنا أن كلا منهما تعبير خاص عن فكر ، وعن فلسفة معينة .

فحسن الخيال ، وحسن الصياغة الذى يلزم طابع الأدب ، وجمال
الذوق فى الإخراج الذى يلزم طابع الفن ، يحمل وراءه فكرة معينة أو اتجاهها
فلسفياً خاصاً . . . يحمل وراءه نظرة معينة الى الحياة أو احساساً خاصاً
وتقييماً خاصاً لها . . . وليست الفلسفة سوى تقييم للوجود ، وللانسان ،
ووظيفته فيه .

فتوجيه الأدب ، والفن ، فى التربية والتعليم ، يعود الى توجيه الفلسفة
والفكر . . . وما لازم الفلسفة : من طابع الاختلاف فى الاتجاه . . . يلزم بالتالى
الآن الأدب والفن .

هناك أدب قومى ، وفن قومى . وهناك أدب عالمى وفن عالمى . . .
هناك أدب وفن ماركسى وآخر ديمقراطى . . . وهناك أدب وفن وجودى

وأدب آخر الهى أو مثالى وهناك أدب وفن مادى وأدب وفن آخر صوفى وهكذا

والأدب العالمى ، أو الفن العالمى ، قد يعبر فيهما يعبر عن القيم الانسانية العامة كالحرية الانسانية ، والعدل ، وغيرها ، ولكن لا يخرج عن النطاق الفلسفى ، والجو الفكرى الذى يعيش فيه الأديب أو الفنان فى تفسير هذه القيم ، والميل بها الى الايديولوجية الخاصة بمجتمعه .

فالأديب العالمى ، أو الفنان العالمى ، ان وجد فى المجتمع الشيوعى ، يكون تعبيره عن القيم الانسانية العامة بالتفسير الماركسى لها . وعلى هذا النحو فى المجتمع المقابل للمجتمع الشيوعى ، وهو المجتمع الديمقراطى الرأسمالى . .

. الأدب العالمى ، أو الفن العالمى ، ان مجد القيم العليا للبشرية يمجدها بتلك الروح التى يحملها ، وهى روح الانسان صاحب البيئة الخاصة والتنشئة الخاصة . فان تآثر بعوامل أو بجو مجتمع آخر ، فلا يزيد ذلك فى « تجرده » وارتفاعه عن التآثر بالبيئة ، وانما بالأحرى ينقل من جو الى جو ، أو من بيئة الى بيئة أخرى .

. هناك لون من الأدب العالمى ، والفن العالمى ، يعبر عن الطبيعة وما فيها من مفارقات تنتوى الى وفاق ، ومن متفاوتات فى ظاهرها تصير بادراكها الى انسجام بينها ، أو يعبر عن قصص تاريخية عامة كنشأة الانسان مثلا ، أو يحكى بعض الحوادث التى ارتبطت بأكثر من شعب هذا اللون من الأدب ، والفن ، يدخل فى باب الثقافة العامة ، أكثر منه فى باب التوجيه . وعلى كل حال : هو تصوير لأحاسيس وانفعالات بأمر عامة ، لا تتصل بالهدف الذى سقناه للتوجيه ، وهو :

خلق جو للحكم العقلى الصحيح ، وتكوين الإرادة القوية فى الانسان ، والسلوك السوى له .

وإذا قيل : ان صلة الأدب والفن بالوجدان أكثر من صلتها بالفكر والفلسفة ، وهما بهذا الاعتبار لهما صلاحية عامة بالنسبة للانسانية فلا يؤثر ذلك . لأن الوجدان لا يخطط به الانسان فى حياته ، ولا يتجه به الى اليمين أو الى اليسار فيما يرى ، أو فيما يسلك أو يتصرف ، وهو فيما يحس أو ينفعل لا يوصل الى اختلاف جوهرى بين الناس أو الشعوب .

ومع ذلك : هذا القول فى ذاته يحتاج الى تأصيل . صحيح : ان الأدب ، والفن ، لهما صلة وثيقة بالوجدان فى آثاره ولكنها مع ذلك يحملان فكراً واتجاهاً معيناً .

والوجدان مع ذلك كالتفكير ، يخضع للتأثير بالعرف والتقاليد وجو البيئة التى يعيش فيها الانسان المنفعل بوجدانه ، عن طريق الأدب ، والفن . وما يقبل عليه وجدان انسان ، ويحس باحساس الرضا والقبول له ، قد ينفرد منه وجدان انسان آخر ويحس باحساس الكراهية ضده .

واذا قلنا : ان الانسان يتأثر بعوامل بيئته ، فمعناه : هو كوحدة فى تفكيره ، ووجدانه وارادته يتأثر بذلك ، وان كان مدى التأثير قد يختلف بالنسبة لكل من مكونات وحدة الانسان ، التى هى : التفكير ، والوجدان ، والارادة .

والأدب ، والفن ، ان اشترك وجدان الانسان مع تفكيره فى انتاجهما ، فهما ادعى للتأثر بما يتأثر به الانسان فى تفكيره وحده . وبذلك يكونان عرضة لنفس الحكم الذى حكم به على توجيه الفلسفة ، وهو عدم الصلاحية فى توجيه المجتمع البشرى كله .

... توجيه السياسة :

واذا كان توجيه الفلسفة والفكر ، وتوجيه التربية والتعليم ، وتوجيه الأدب والفن ، وتوجيه الصحافة والاعلام ، لا يجمع عناصر الصلاحية العامة للتوجيه الانسانى العام ، فتوجيه السياسة بالأولى ... بعيد عن هذه الصلاحية .

لان السياسة ليست رسماً لتفكير ، بقدر ما هى تنفيذ لهذا التفكير . ان السياسة فى أصلها هى اشراف على تنفيذ فلسفة معينة . وقد تكون احترافاً بالحكم لذاته ، ولجاهه ، وسلطته .

وهى فى تنفيذها لفلسفة معينة — ان آمنت بها — قد تجمد بعض مبادئ هذه الفلسفة فترة من الزمن ، أو تسلك بعض السبل التى تبدو فى ظاهرها أنها مناقضة للروح العامة التى قامت عليها هذه الفلسفة . وذلك لضرورات تدفع الى ذلك . وهى فيما تجمد من مبادئ ، أو تغير من أسلوب فى التنفيذ ... تلائم بين الفلسفة وبين ظروف المجتمع الداخلية ، أو بينها وبين العلاقات الدولية فى اتصال المجتمع بها .

وهذه الملائمة تنطوى على تحديد وتضييق ، أكثر للفلسفة ... وعلى ربطها فى الصلاحية بظروف معينة . وهذه ظاهرة تقمّد السياسة طابع الصلاحية العامة للتوجيه .

... وقد تكون هناك بواعث أخرى ، غير الظروف المعينة ، تحمل على تأجيل بعض المبادئ ، أو تغيير أسلوب تنفيذها .. قد تكون هنا بواعث

التأثر بجاه الحكم ، وسلطته ، والرغبة في الاستمتاع بهما أطول فترة ممكنة ،
وان لم يذكر ذلك صراحة . وهنا يدخل الاحتراف بالسياسة .

ومع الاحتراف بأية قيمة من القيم يكون النفاق دائما .. نفاق الجماهير
ونفاق المبادئ . اذ شأن الايمان بالقيم وعدم النفاق فيها يدعو الى اعتزال
السياسة والعودة الى الدعوة الى المبادئ ، اذا لاقى تنفيذها عن طريق
الحكم صعوبة في التقبل لدى المجتمع ، أو لاقى اغراضا وأهواء في طريقه ..
ليس من اليسير تجاهلها ولو لفترة ما .

وإذا أصبحت السياسة حرثة ، والنفاق وسيلة للبقاء في الحكم ، فان
السياسة لا تفقد صلاحيتها في التوجيه فحسب ، وانما تصبح خطرا على
الانسان وعلى حياته ، قبل ما تصيب توجيهه بأضرار المحدودية في الصلاحية .

ان الأحزاب السياسية في النظام الديمقراطي الرأسمالي تحترف في
صراحة بسياسة الحكم . واختلاف هذه الأحزاب قائم على اختلاف كلى في
فلسفة السياسة الداخلية أو الخارجية ، للوصول الى الحكم والمنافسة في
سبيله .

ونفاق الجماهير وخذاعها بالوعود والآمال المرتقبة ، التي قد تمر اجيال
ولا تتحقق ، في نظام الأيديولوجية انشيعوية ... يجعل الاحتراف بسياسة
الحكم والرغبة في الاحتفاظ بجاهه وسلطته غير ملموس وغير واضح . وربما
لو كان هناك في هذا النظام : **نقد حر للسياسة ، وتعبير حر عن الراى فيها ،
و ضمان للحرية الشخصية وكيان الفرد من الانتهاك أو التجويع والتشريد ..
لاكتشف الاحتراف بسياسة الحكم هناك مهذا علاه من صنوف النفاق والوانه .**

ان الأحزاب السياسية في نظام الحكم الديمقراطي الرأسمالي تختار
رجال الحكم والمنفذين لسياسته من أعضاء الحزب الذي يأتي دوره للحكم .
بغض النظر عن كفايتهم الفنية ، أو الخلقية ، أو الايمانية بمبادئ الحزب
نفسها ، طالما يتمتعون بنفوذ في الحزب عن طريق المال ، أو العصبية ، أو عن
طريق أى نوع من أنواع العلاقات الخاصة برئيس الحزب .

وهى ظاهرة لها اعتبارها كذلك في نظام الحكم الآخر المقابل له وهو
الحكم الماركسى ، وان لم تكن نفس الأسباب والدوافع .

وربما اذا رجع الأمر في الاختيار في النظام الديمقراطي الى ترشيح
الحزب في أكثر الأحيان ... فانه يرجع هنا في النظام الماركسى في الأغلب الى
الشخص القوى في النظام .. وقد يكون رئيس الحكومة قبل رئيس الدولة ..
وقد يكون أحد أعضاء الحزب « الواحد » قبل الرئيسين معا .

ولا شك أن مثل هذا الاختيار لا يجعل سياسة الحكم حرمة وتجارة فقط . . . وبالتالي يفقدها الصلاحية العامة للتوجيه ، باعتبار أن لها صفة معينة بفلسفة الحكم نفسها ، وهي صورة من صور التفكير الانساني . . . بل يجعل هذه السياسة ذات أثر سلبي على كل مصادر التوجيه السابقة ، ويضيف الى السبب أو الأسباب التي أفقدتها الصلاحية العامة ، سببا آخر هو : الغرض والرغبة الخاصة . . . هو الهوى والشهوة . . . هو العواطف والميول . وهي كافية في الحيلولة دون أن يكون لما يأتي تبعا لها اعتبار انساني أصلا . . . فضلا عن أن يكون اعتبارا عاما .

.. قضية الانسان :

ان الأمر فيما ذكر كله هنا عن مصادر التوجيه يعود في نهاية المطاف الى الانسان ، والى مدى تأثيره أو عدم تأثيره ، بما نما وعاش فيه . . . وبما يوجد فيه من جو يحيط به .

. . . ان الأمر يعود الى الانسان ، والى مدى استقلاله بالتوجيه الانساني للانسانية . . . انه يعود الى تلك القضية . . . قضية الانسان في اكتفائه الذاتي ، أو عدم اكتفائه الذاتي في تحقيق رسالته في الاخوة الانسانية ، والمساواة في الاعتبار البشري فيها ، والتعاون لخير البشرية . . . انه اتجاه « العلمانية » .

. . . ان الأمر يعود الى ذلك التساؤل :

● ان الانسان كان بدائيا فتحضر .

لماذا لم يكن متحضرا من أول الأمر ؟

وما هي عوامل حضارته وصلتها بانسانيته ؟ .

● . . . انه في حضارته لم يزل يتحزب ، ولم يزل يهوى ويفرض .

هل ذلك استجابة لانسانيته في مستواها الرفيع ، أم ذلك أمارة على الوجود تحت تأثير الأنانية والفرائز ؟

والى أي مدى تسهم الأنانية في الانتاج الحضاري ؟ .

● . . . ان الانسان في عصر العلم والتفوق فيه ، لم يزل يخشى ، ويضطرب ويقلق .

هل ذلك أمارة على تقدمه في انسانيته ؟

وهل هو وسيلة لاسعاده ، أم ان اسعاده في تجنيبه الخوف ،
والاضطراب والقلق ، بخلق جو للأمان والاستقرار ، يعيش فيه بفكره ،
ووجدانه ، وسلوكه ؟

● . . . أهذه الظواهر تدل على استعلاء الانسان وحده أن يؤدي
وظيفته في الحياة ؟

أم تدل على غلوه في الثقة بنفسه ، مع احتياجه في الواقع الى سند
يؤازره ؟

وما هو ذلك السند . . . ان كان ؟

وكيف يسانده مع الاحتفاظ بكرامته وخالقيته ؟ .

. . . « أوجست كونت » الفيلسوف الفرنسي في النصف الاول من القرن
الناسع عشر ، يرى :

أنه ببداية عصر العلم والصناعة ، وبتوجيه علم الاجتماع ، ومساندة
« دين الانسانية » . . . يأمن الانسان جانب الخطر في التوجيه ، ويصل الى
مستوى انساني رفيع ، يحول دون العودة الى البداءة ، كما يمنع سيطرة
الانانية والهوى والغرض ، ويجنبه جو التلق والاضطراب ! .

ويستعرض تاريخ الانسانية قبل عهد العلم والصناعة ، ويستخلص
منه :

أن عهدين قبل هذا العهد ، مرا بالانسانية ولم يزل الانسان في طور
الغاب ، والحيوانية والغريزة العمياء والانانية . . . رغم وجود الدين كمصدر
للتوجيه في عهد . . . ووجود الفلسفة بعده في عهد آخر . . . ورغم اسناد
التوجيه في العهد الأول الى رجل الدين ورجل الحرب ، وفي العهد الثاني الى
رجل الفلسفة ورجل القانون .

. . . ولكن عصر العلم والصناعة بعدها ، واسناد التوجيه فيه ، الى
رجل العلم ورجل الصناعة . . . كفيل في نظره بنقل الانسان من هذا المستوى
الغريزي الحيواني الى المستوى الانساني بمعناه الصحيح . . . وعلى علم
الاجتماع كما يعتقد هو ، كظاهرة لعصر العلم . . . تقع عملية نقل الانسان من :

مرحلة الغاب الى مرحلة الصناعة ،

ومن الحيوانية الى الانسانية ،

وهن الغريزة العمياء الى العقل ،

ومن الأتانية الى الاحساس الجماعى !! .

... على أن يعين هذا العلم في مهمته هذه : « دين الانسانية » .
وهو دين يتمحصر للايمان بالانسانية كهدف ... ويتخذ لذلك :

من حب الانسانية أساسا ،

ومن النظام قاعدة ،

ومن التقدم غاية .

... وبالترايط بين هذا الدين ، وعلم الاجتماع ، يتكون التوجيه الصحيح في نظره ! . اذ التوجيه الصالح ، في نظر : « كونت » ... هو ما انطوى على امرين :

اولا : على النظرة العلمية ...

وثانيا : على تحريك الوجدان .

واذا كان علم الاجتماع ينطوى على النظرة العلمية ، فدين الانسانية يتكفل بتحريك الوجدان ويدفعه نحو تحقيق المطلوب .

و « كونت » برأيه هذا يوضح الحقائق الآتية :

● ان الانسان لكي يصير الى انسانيته في تطوره ، بحاجة الى توجيه يقوم بالنقل والحركة من وضع الى وضع ... من وضع أدنى الى وضع ارفع .

● وان انسانية الانسان تتمثل في عقله ، ووجدانه ، وارادته .

● وان هذا التوجيه لا بد أن يكون متلائما ، مع انسانية الانسان ... متلائما مع : عقله ، ووجدانه ، وارادته .

وما يتلاءم مع العقل هو العلم ... وليس الظن ... وليست الخرافة .

وما يتلاءم مع الوجدان والارادة هو : الايمان والاعتقاد ... هو الدين ، دين الانسانية في نظره ... وليست الفلسفة ، ولا القوانين ، ولا السياسة ولا الادب ، ولا الفن .

... واذن « كونت » لا يقر بقاء الانسان في دائرة الأتانية ، وبالتالي لا يقر بقاءه في نطاق الفريزة العمياء والحيوانية ... لا يقر بقاءه في بدائيته في أسلوب حياته . وانما يريد أنه : أن يمارس عقله ، ووجدانه ممارسة

انسانية سليمة ، وان يعيش بأسلوب التقدم الصناعى فى حياته ... وليس
بأسلوب الغاب .

... العلم . والايمان بالانسانية ، هما الدعامتان فى تقدم الانسان
وتطوره ... وهما فى الوقت نفسه غاية الانسان . فوجود العلم فى حياة
الانسان اشارة على مباشرة العقل الانسانى لوظيفته مباشرة سليمة . ووجود
الايمان بالانسانية فى حياة الانسان أيضا دليل على وجود الاحساس الجماعى
... وبالتالي دليل على ضعف الأناية فى الانسان .

وكلما تقدم العلم ، وتقوى الايمان بالانسانية ... كلما تقدم الانسان ،
وابتعد عن الحيوانية ، ، وعن سيطرة الغريزة العمياء وتحكم الأناية .

واذن هما معادلتان فى حياة الانسان :

اولاهما : تقدم ، وهو يساوى : العلم والايمان بالانسانية ، والاحساس
الجماعى .

وثانيهما : تخلف ، وهو يساوى : السيطرة للغريزة او الحيوانية
والأناية ، او الاحساس الفردى .

**والتقدم مصدر السلام ، والتخلف مبعث الاعتداء ... التقدم مصدر
الأمان والاستقرار ، والتخلف مصدر الخوف ، والقلق والاضطراب :**

مضى على وفاة « كونت » الآن ما يزيد قليلا عن قرن من الزمن ، ولقيت
فلسفته الوضعية هذه قبولا عليها ، وتأثر بها ماركس فى شيسوعيته ، وتأثر
بها غيرد من فلاسفة الغرب فيما يسمى بالفلسفة الواقعية . واعتبرت فلسفته
نقطة تحول عظيم فى تاريخ الفكر الانسانى ، وفى تاريخ المجتمع البشرى ...
كما اعتبر منهجا منهجا علميا ، خلا من التأثر بالرواسب الماضية ! .

و « كونت » لم يعيش بتفكيره فى عزلة عن المجتمع الانسانى ، بل تفاعل
معه . وربما كان تأثير تفكيره فى هذا التفاعل أكثر من تأثره به :

ان فلسفة « كونت » الوضعية غيرت فى حركات الشعوب والمجتمعات
واتجاهاتها ، وغيرت فى مناهج بحث العلوم الانسانية ، وكونت تلايىذ كان
لهم اثر واضح فى تغيير مجرى الفكر الانسانى فى مجتمعات عديدة ... وراء
المجتمع الفرنسى .

ومع ذلك ... مع وجود علم الاجتماع ، ودين الانسانية اللذين نادى
بهما ، ومع تزايد عصر العلم والصناعة فى الازدهار بما لم يترقبه ... هل

تقدم الإنسان ؟ فأصبح يستخدم عقله استخداما صحيحا ، وأصبح يحس في نفسه باحساس انساني جماعى ؟

هل الماركسية اللينينية — وهى نظام جماعى — تتم في تطبيقها اليوم عن الاحساس الجماعى الانسانى الذى يمتلك الأفراد ؟

هل عصر الصناعة حال دون استخدام : القرصنة وشريعة الغاب ؟
هل حال عصر الصناعة دون دفع الغريزة العمياء في السلوك والعلاقات بين الأفراد ؟ .

هل انتهى بعصرها عصر الحيوانية والأناية ؟

ان الانسان الابيض — وهو انسان المجتمع الغربى ... مجتمع « كونت » .. لا يزال يباشر التفرقة العنصرية في سياسته نحو الزنوج ، أو نحو الافريقيين ، والآسيويين .

... هل مباشرة التفرقة العنصرية في السياسة ، والسلوك ، اشارة على الأناية التى هى مصدر التخلف ، أم دليل على الاحساس الانسانى الجماعى ، الذى هو مظهر التقدم ؟

... ان الانسان الابيض — وهو انسان المجتمع الغربى ... مجتمع « كونت » ... لا يزال يستخدم عقله في تبرير سياسته العنصرية !

... هل تبرير السياسة العنصرية اشارة على العلم .. وبالتالي على تقدم الانسان .. أم دليل وانحسج على الاعتقاد بالخرافة وبالتالي على التخلف ؟

اين اثر دين الانسانية والايان به ؟

اين طرح الصلات والأواصر في العلاقات ، واخضاع الانسان في تقيمه للجانب المادى وحده ؟

... افي انحلال الأسرة ، وتفتيخ العلاقات بين أفرادها تحت تأثير ما يسمى بالحضارة الصناعية ؟

... هل زاد عصر الصناعة في قوة الايمان بالانسانية ، وهو عصر العلم ودين الانسانية في نظر « كونت » ؟

... هل توحى الحضارة الصناعية بالآلية أم بالانسانية ؟

... وهل دين الانسانية يتوى على تحدى مشاكل الصناعة ، والابقاء على سيادة الانسان .. كما هو منطقته ؟

هل الصناعة الالكترونية أبقت على اختيار الانسان وارادته — واختيار الانسان دليل على تخلصه من سيطرة الغرائز في التفكير واستخدام العقل استخدامها سلبيا — أم جعلته مجبرا ، وسلبت منه ارادته ، وأصبح لا يستطيع التخلف عن التبعية ، فضلا عن أن يرتفع الى مستوى النقد وابداء الرأي ؟

ان الراديو ، والتلفزيون ، سيطرا على سمع الانسان ، وبصره واحساسه ، ولم يترك له من حواسه الخمس سوى : حاستي الشم واللمس ، وهما اقل الحواس في تكوين المعرفة وارشاد الانسان .

ان العلم سيساعد على سلامة التفكير ، وان الايمان بالانسانية سيعين على تكوين الاحساس الجماعى ، وفي الوقت نفسه أيضا سيعين على سلامة التفكير كذلك . . . هذا منطوق ، وحق .

. . . ولكن لماذا لم تتقدم المجتمعات البشرية في مستوى الانسانية ؟ والامل الذى كان معقودا على الاتجاهات الانسانية الجماعية في نظام الحكم في الوصول الى ذلك المستوى الانسانى ، خيبة التطبيق الشيوعى ؟

هل تقدم العلم ؟ وتخلف الايمان بالانسانية ؟

. . . تقدم العلم حقيقة ملموسة ، وتخلف الايمان بالانسانية . . . له ظواهر كثيرة تدل عليه .

ولا ينكر اطلاقا : اذا توفر الأمران في توجيه الانسان ، فانه يكون ذا مستوى رفيع تقدمى في انسانيته .

. . . والآن لماذا تخلف الايمان بالانسانية ، ولم ينجح « دين الانسانية » في اثارة الوجدان بالاحساس الانسانى الجماعى في البشرية ؟

ان الخطأ الذى وقع فيه « كونت » — ووقعت فيه الأيديولوجية الماركسية بعده ، ووقعت فيه العلمانية بصفة عامة . . . هو : الظن بأن الانسان يستطيع أن يخلق « ديننا » وأن يجعل في قلبه ايمانا ، له طابع العقيدة . .

وربما الأمر الذى دفع « كونت » — كما دفع غيره من فلاسفة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر — الى هذا الخطأ هو موقف الكنيسة من المسيحية . فانكنيسة تحجب المسيحية في أصولها السليمة ، وتقدم منها لأتباعها ما تراه منها . وما تراه منها . . هو ما يجعل للكنيسة سلطة وبقاء كقوة في سياسة المجتمعات ، تسمع وتطاع دون تردد ، ولها الاحترام والقداسة في غير شك . ولذلك جسدت الله في شخصها وسلطتها . .

... وبذلك لم ير الناس الله في الانسانية ، ولم يروا تعاليمه في الدفع الى مستوى الانسانية الفاضل ، وهو المستوى الذى يقوم على الاحساس الانسانى الجماعى ، والحد من الانانية وسيطرة الغرائز في السلوك والعلاقات .

ان « كونت » لا يدعى لنفسه ، ولا يدعى له بعض تلاميذه ومريديه ، انه درس المسيحية كرسالة لله ، في غير ما كتبه الكنيسة وأقرته ... وفي غير ما توصى به وتعلنه .

ومن ثم اذا عارض «كونت» الايمان بالله وحوله الى الايمان بالانسانية، فذلك لانه يريد انسانية في مجتمع انساني ، ولا يريد سلطة لطائفة تريد ان تحتكر التوجيه في المجتمع الانساني ، دون أن يكون لهذا التوجيه أثر سوى اطاعة والتداساة لأشخاص تلك الطائفة ، مع بقاء الانانية في احساس الوجدان ، والخرافة في تفكير العقل .

... ان الانسان لا يستطيع اليوم أن يخلق دينا ، كما تصور «كونت» ... ان الانسان لا يستطيع ، لا بسبب تقدم العلم في منهج بحثه ، ولكن بسبب تقدمه في تقريب المسافات ، وربط الشعوب والمجتمعات البشرية ، عن طريق أجهزة الثقافة والاعلام ... ان ينشئ عقيدة حديثة ، كما نشأت في الماضي عقائد .

... ان نشأة العقائد الكثيرة — عدا رسالة السماء — خضعت في الماضي الى عامل الصدفة ، ثم الى العزلة والانتقطاع في الصلات بين المجتمعات .

فعامل الصدفة لعب دورا كبيرا في العقائد الوثنية ، والايمان بانطواء بعض الكائنات المحسوسة على قوى تحرك وتصير الانسان ، وترتبط بحركتها الأرزاق وتبصيرها السعادة والشقاوة له ! .

وساعد الصدفة على أن تحول وتوسع حادث أو أمر من الأمور بمكان بعيد ، أو عند كائن محس خاص ، الى عقيدة في النفع والضرر ... بعد المسافات بين المجتمعات وطول الأمد على العزلة وعدم الاتصال .

والعلم في تقدمه اليوم كشف عن الأرض وما فيها ، وما فوقها . وهو كل يوم يزيد في هذا الكشف عنها . وهنا لا يكون للصدفة أثرها في الاعتقاد ، على نحو ما كان لها في الماضي .

يضاف الى ذلك : ما أحرزه العلم من قوة في تقدمه في طي الأبعاد والمسافات الشاسعة وتفسيرها ، بحيث أصبح من الضروري في ثقافة

الإنسان المعاصر أن يجيد أكثر من لغة ، كى يستطيع بنفسه حتى فى أقصر رحلاته ، أن يسد حاجة القناهم بينه وبين الآخرين فى مجتمعات أخرى .

ومهما كان الوضوح أو الاتجاه الفكرى الذى يراد له أن يكون ديناً وعتيدة ، من الأهمية للبشرية ومن الصلاحية والاستقامة فى خطوطه العامة
فانه من الصعب فى عصرنا الحاضر أن يتحول الى دين وعتيدة . لأن أخص عنصر فى تكوين معنى الدين . أن لا ينسب الى شخص هو انسان مساو لبقية الناس فى الاعتبار الانسانى ، ومساو لهم فى الاتيان بالخطأ والصواب .

... فـ « المساواة » عامل يحول دون التبعية والطاعة ، انثى تطلب للدين ، كما يحول دون الاحترام والعبادة لمن صدر منه الدين .

... وربما يصل الأمر عن طريق مبدأ المساواة الى النقد لموضوع الدين وربما يصل الى أبعد من ذلك يصل الى الاستخفاف ، وعدم الاكترات بشخص من صدر منه الدين ! .

والمعارضة عادة لا تأتى الا من مساو لمساو ، أو من نظير لنظير . ومهما كان لأحد النظرين فى جانب ما ، من تفوق على الآخر فى العمل ، ومن طاقة تزيد على طاقته فانه لا يتمتع فى نفوس نظرائه باحترام ، يدانى ما يتمتع به شخص آخر أجنبى عنهم من احترامهم وتقديرهم ، ولو لم يكن له من الانسانية الا مظهر الانسان دون مخبره . وحرمة لدى النظراء تقل عن حرمة جاهل أمى غريب عنهم .

وأجهزة الاعلام فى النظام الشيوعى تحاول أن تخلق من « الماركسية » ديناً . وقد مضى على ذلك قرابة نصف قرن الآن ، واستخدم هذا النظام عامل عزلة المجتمع عن بقية المجتمعات الأخرى ، ووضع ما سماه « بالسنار الحديدى » . ومع ذلك لا يؤمن بها فى المجتمع الشيوعى الا خائف على نفسه ، أو على قوته وأجره اليومى ، غايمانه نفاق ، وعدم مناقشته لبادئها علناً
تقية وخشية . .

ولم يصبح كارل ماركس معبوداً ولم يصبح لينين معبوداً ولم يصبح العلم الذى دعا كل منهما اليه لها ولم يصبح كارل ماركس معبوداً ، لأنه وهم يوم أن رأى سعادة الانسان فى الملكية الجماعية ، ورأى حرته فى إلغاء الملكية الفردية ، وربطه فى الأجر بعمل الدولة وحدها .

فهو انسان أخطأ التقدير : ففرض الرق على الفرد باسم الحرية . إذ كيف يكون الفرد حراً وهو لا يجد عملاً الا عند الدولة ، ولا يجد قوته الا عند اصحاب القوامه على هذا النظام ؟ . انه عندئذ يخضع رايه ، وفكره لبطنه ،

ويخضع رأيه وفكره لتحصيل وسائل حياته في الغد والرواح إلى العمل ،
وفي الوقاية من التشريد في المسكن .

... ولم يصبح العلم لها : لأن العلم السذّي بشر به كارل ماركس
الإنسانية أصبح نذيراً لها ، ومهدداً بفنائها ... وأصبح في تجددده وتقدمه ،
عاملاً من عوامل الخوف والقلق ، وعملاً أيضاً في افتقار الإنسانية ودفعها إلى
الجوع ومرارة العيش في الحياة ... أنه أصبح في خدمة الحرب ... في
الاستعداد لها والوقاية منها ... أنه حول من رخاء الحياة للمجتمعات إلى
شقائها وإلى حساب تدميرها .

التوجيه الصحيح للإنسان في نظر « كونت » في حاجة إلى العلم ، كما
هو في حاجة إلى الإيمان بالإنسانية كدين .

**ووجد العلم ، وتقدم ، ولم يوجد دين الإنسانية ، ولا يقدر له أن يوجد
في عصر العلم ، بعد فشل التجربة الشيوعية في تحويل الماركسية إلى دين ،
وتحويل وعودها بحياة أفضل إلى جنة على الأرض .**

الإنسانية مفتقرة إلى دين يدعو إلى الإيمان بها . فماذا يصنع الفكر
البشري الآن ؟ .

إن ماضي الكنيسة مع الإنسانية لا يشجع على الرجوع إلى الله ،
ويدعو إلى غض النظر عنه . لكن لماذا لا يرجع الإنسان إلى الله في رسالته ،
وليس فيما يكتبه المحترفون به ، عنه ؟ .

... إن اتجاه العلمانية الذي فرض نفسه في المجتمعات الأوروبية ،
بسبب أخطاء الكنيسة وعدوانها على الإنسانية في القرون الوسطى ... شق
طريقه إلى المجتمعات الإسلامية مع الاستعمار الغربي ، كى يبعد الإسلام من
وطنه ومن فوق أرضه ، ومن قلوب المؤمنين به ، ويوجد مع ذلك فراغاً إيمانياً
في نفوس الأجيال التي تنشأ على عهده ، ومن بعده ، طالما تنشأ على سنته ،
وأسسها .

إن هذا الاتجاه العلماني أخذ يتغلب في المجتمعات الإسلامية في التوجيه ،
والتشريع ، مع نظم الحكم الغربية في السياسة والإدارة والاقتصاد ، منذ
انتهاء الحرب العالمية الأولى . ونشأ أجيالاً ورواداً ، بعد أن أسس المدارس
والجامعات ، وبعد أن وطن فلسفته ، وروج لمذهبه في التوجيه .

... وساعده على التوطن في حياة المجتمعات الإسلامية ، بعد أن تام
الاستعمار الغربي الصليبي بعمليته ... الاتجاه الإلحادي الماركسي الذي ظهر
واضحاً فيها ... منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين .

ان كلا الاتجاهين يهدفان الى هدف واحد هو : ابعاد الدين عن مجرى الحياة والتوجيه ... ابعاد الدين التقليدى ، مسيحية أو اسلاما .

ويعد نقطة الالتقاء بينهما يختلف كل منهما فى طريقة الابعاد : اchiedهما يستمر فى هجومه المعروف على الدين كسلطة تمارس حكمها ، وتقيم مملكة ، وهو الاتجاه العلمانى .

والآخر يفرق فى دعوى : ان الدين خداع من جانب ، كما يفرق من جانب آخر فى تفخيم الأهل فيما يدعو له من عقيدة جديدة عقيدة الإيمان بتعاليم ماركس التى تقوم على الاشتراكية العلمية !

وأصبح على أرض الاسلام والمسلمين يشاهد الصراع المرير بين : « العلمانية » والاسلام . وربما يشاهد هذا الصراع غير متكافئ فى واقع المعركة . وهو فى حقيقة وضعه : صراع أيديولوجيات . وربما يبدو الضعف فى جانب الاسلام بسبب عرضه ، كما تبدو القوة فى الجانب المقابل من عرضه كذلك فى تنوع وسائل العرض ومن الاجادة فيها .

... . وهنا يتحتم من أجل تقييم الوضع لكل منهما تقييما صحيحا ، بعد ما وضح من قيمة توجيه الفلسفة فى اية مدرسة لها ، وفى أى اتجاه يسلكه أن يشار الى دور الاسلام فى ذاته ، ومن قرأته ، ليرى :

هل فى الإمكان أن يسد الاسلام الفراغ فى التوجيه الذى تفرضه طبيعة الانسان الثنائية ؟ .

... . الاسلام فى ميزان التوجيه :

لماذا لا يرجع الى الاسلام فى قرآته ؟ فان عرف أنه للانسانية ، ومن أجل المستوى الانسانى الرفيع فيها أخذ فى التوجيه ، على أنه دين الانسانية ، وهو بالفعل دين وعقيدة ، وله خصائص الدين والعقيدة ، ولا يحتاج الى تحول ولا الى نقلة من الانسان ..

فالله المعبود فيه ليس كمثل شىء متفرد فى صفاته ووجوده فوق البشر وفوق الوجود كل فى كماله المطلق . وتلك مفارقات بينه وبين الانسان تحمل على العبادة لله ، والطاعة لرسالته .. « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » (1) .

(1) الأنعام : ١٠٣

ان دين الانسانية قد طلبه « كوزت » ليعين على نقل الانسان من مرحلة الحيوانية والغرائز العمياء والانانية الجامحة .. الى العقل والعلم ، والاحساس الانسانى الجماعى ..

... كما طلب أن يكون قوامه : الحب ، والنظام ، والتقدم .

فهل الاسلام بتعاليمه يدفع الى تكوين الاحساس الانسانى الجماعى فى الانسان ، بدلا من الانانية .. والى توجيه الانسان نحو العلم والتفكير السليم ، بدلا من الخرافة ؟ ..

هل الاسلام يحل على ابعاد الحيوانية ، وابعاد سيطرة الغرائز فى تصرف الانسان وسلوكه ؟ ..

هل الاسلام يقوم على المحبة ، والنظام ، والتقدم ؟ ..

هل الاسلام جعل من المؤمن به انسانا ذا انسانية : فى تفكيره ، وذا احساس جماعى فى سلوكه .. وذا نظام فى حياته .. وذا محبة فى علاقته .. وذا تقدم فى مجال انسانيته ؟ ..

ان كان الاسلام على هذا النحو فأية حاجة للانسانية بعده فى التوجيه الا اذا حجب التعصب الجديد للعلمانية والماركسية الاحادية ضد الماضى ،

... وحالت المنافسة فى العقيدة ضد رسول الاسلام ،

ووقفت النظرة الى اللغة العربية فى سبيل القبول لمبادئه ،

... وعندئذ : هل يكون ذلك طابع عصر العلم ؟ ..

هل يكون الرفض فى هذه اللحظة — نتيجة للمنهج العلمى فى البحث ؟ وأما على التقدم فى الحياة ؟ ..

المساواة فى البشرية .. فى الاسلام :

ان اول قاعدة يقرها الاسلام للانطلاق منها : تساوى الشعوب والاجناس فى الاعتبار البشرى ، مع تعددها .. ثم المفاضلة بعد ذلك بين افرادها .. بمستوى الانسان فى الانسانية وحده . يقول القرآن الكريم :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا

وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (١) .

(١) الحجرات : ١٣

... فهنا أولا : الاقرار : بالتساوى فى البشرية : فطالما كان خلق الناس جميعا من ذكر وانثى من النوع البشرى ، فلا يتميز اذن واحد على آخر فى الاصل والنشأة .

... وهنا ثانيا : الاقرار : بان اختلاف الناس الى شعوب وامم حسب الوانهم ، وحسب مواطنهم ، او حسب عروقهم .. يستهدف التقارب وليس التباعد .. والتعارف وليس التنافر .. والتعاون وليس التنازع . اذ الاختلاف من بعض الوجوه ، وليس التشابه من كل وجه .. يوحى بالحاجة الى التكامل . وما يوجد عند واحد يكمل ما هو مفقود عند الآخر . فهنا نداء الحاجة الى الاستكمال يحمل على اللقاء .. كما يحمل على البقاء فى اللفة . وتلك سنة الوجود .. لا يختلف عنها كائن فيه .

... واذا قيل : ان الانسان مدنى بطبعه ، اى انه يبيل الى المعاشرة ، واللقاء ، والمعاونة وتبادل المصلحة .. فهذا القول نتيجة لذلك الابداء الوجودى : فكل فرد له من بعض الخصائص الفردية ما يختلف به عن فرد آخر . والا لما كان تعدد بين الأفراد . والاختلاف فى الخصائص الفردية .. سبب الحاجة الى الاجتماع وتكوين المجتمعات ..

... ولهذا السبب : قيمة هذا الابداء الطبيعى ، ونتيجته الحتمية ايضا .. بين الشعوب والامم كما له نفس القيمة ونفس النتيجة بين الأفراد .. والشعوب مدفوعة على اللقاء والتعارف اذن بسبب ما بينهما من اختلاف . فان لم تتعارف .. وتلتق .. يكون هناك عامل آخر اقوى قد تدخل فاضنصف من فاعلية هذا المسدأ ... تكون هنالك الانانية وسيطرتها ..

... وتقر هذه الآية اخيرا : أن المساواة فى الاعتبار البشرى لا تستتبع المساواة فى القيمة . بل بعد هذه المساواة ، يوجد اختلاف فى القيمة ، نتيجة لمدى المستوى الانسانى فى الانسان . فأكرم الناس عند الله ، بعد مساواتهم فى الاعتبار الانسانى . أقتاهم .. وابعدهم عن المنكرات والفواحش ، والظلم والعدوان ..

والتقوى هى جملة خصائص يكسبها الفرد فى نفسه . وهى عنوان المستوى الفاضل فى الانسانية . وهذه الخصائص :

● الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبين ،

● اعطاء المال فى محبة للاعطاء ورضاء نفس به : للتقارب ،

والينامى ، والمساكين وأبناء السبيل ، والسائلين ، وفى تحرير الرقاب من الرق ،

● إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،

● الوفاء بالعهد ،

● الصبر والتحمل في أوقات الأزمات ، وعند وقوعها :

((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واليتامى وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)) (١) .

وبالوقوف عند كل خاصة من هذه الخصائص . نجد : أن كل واحدة منها تعبر عن جانب فى انسانية الانسان ، وأن مجموعها يعبر عن الانسانية فى محيطها الرفيع .. ايماننا وعملا :

**... فالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ...
إيمان بالانسانية فى بدايتها ، وتاريخ تطورها ، ورسالتها . فمن الله تتبدى ..
والى اليوم الآخر تصير . وبالملائكة ، والكتاب ، والنبين .. يكمن تاريخ
تطورها ورسالتها .**

وإذا وصل الانسان الى الايمان بالانسانية .. استهدفها فى تفكيره .. وأحس بها فى وجدانه ... وعبر عنها فى سلوكه .

ومن يصنع ذلك ، يكون قد ابتعد عن الحيوانية وعن الأنانية معا ، وانتقل بالفعل الى مجال الانسانية الخالصة .

وتعتبر هذه الخصيصة ، خصيصة الايمان بالله .. ركيزة وأساسا ، تقوم عليها الخصائص الأخرى الباقية التى سبقت فى وصف التقوى ..
والتي جعلت معيارا للمفاضلة فى الانسانية بين انسان وآخر .

... واتفاق المال فى محبة للإنفاق ورضاء نفس به فى أوجه الانفاق المحددة هنا .. دليل على نضوج الانسانية فى الانسان .

لأن الانسان لا ينفق من ماله وهو محبب اليه الانفاق ... وهو مستريح فى دخيلة نفسه .. فى سبيل الانسانية ودفع الأضرار والحاجات

(١) البقرة : ١٧٧

حين هم معرضون للأضرار من الأفراد بحكم ظروفهم الاجتماعية ، التي نضجت لسبب ما أن يكونوا أقل حظا في المال .. أو أقل استطاعة على السعى والمنافسة ، في تحصيله .. أو أقل في كسب النظرة الانسانية التي تبيىء ليوم امكانيات أوسع في المال ... لا يصنع ذلك الا وهو متجاوب تملها مع ايمانه بالانسانية ، في ظل وسيطرة هذا الايمان عليه .

... والاتجاه الى الله في الصلاة خمس مرات في اليوم ، والقربى اليه باخراج الزكاة المفروضة .. امانة على بقاء الايمان قويا بالانسانية ، وعلى انه مستمر غير منقطع . وذلك بالتسالي دليل على « تقدمه »
وإنه يعيش في الانسانية ومن أجلها ..

تذكر الله في العبادة هو .. تذكر في واقع الأمر للانسانية في نشأتها .. ومصيرها .. وتطورها .. ورسالتها .

فقد خلق الله الكون للانسان ، وخلق الانسان فيه ليكون صاحب رسالة . ورسالته من أجل انسانيته .. في سلامها وأمنها ، وفي نموه في خصائصها ، حتى يحقق ميزته عن الحيوان الشريك له في الحيوانية ..
ويحقق سيادته :

عن طريق الفكر المتجرد في العلم .. وعن طريق الوجدان الانساني في الاحساس الجماعي ؛

وعن طريق الإرادة في السلوك المعبر عن الحكمة واختيار العقل ،
وليس عن دفع الغريزة وجبرها والزامها ..

... والوفاء بالعهد ، والصبر والتحمل مدة الأزمات وعند وقوعها
... يصور تمة ايمان الانسان بالانسانية .. لأن العهد هو للانسان ..
والأزمة أيضا بسبب الانسان .

فكونه يفي بمعهده مع احتمال أن يشق عليه الوفاء ،

وكونه يصبر ولا يهرب من الحياة كلها في مواجهة أزمة من شأنها أن تشق وقد تمنع في مشقتها بطول عهدها أو بنوعها .. لا يأتي الا من درب نفسه على المشقات وعلى تحملها ..

وليس ذلك الا المؤمن المضحي في سبيل ايمانه ، كالجندى في ميدان وهب حياته للدفاع فيه ، فلا يعود منه الا الى مجد الشهيد في قبره ..
او الى مجد المنتصر في ظفره :

ان الذى لا يؤمن بالله ، وبالتالي لا يؤمن بالانسانية .. لا يتورط فى وفاء بعهد ، اذا ما شق عليه الوفاء به .. كما لا يقع فى أزمة .. أو يواجهها . لأن نفاقه أو رده فى الايمان .. كفى ل احدهما بايجساد السبيل الذى يمنع مواجهته الشدة .. بل وقوعها .

ان ايمان المؤمن بالمثل والقيم العليا ... ان ايمانه بالله وبالانسانية .. طريق الى الحرج والعنت والمشقة فى الحياة .

ان المؤمن يعيش بايمانه فى راحة ضميره .. ولكن فى عنت وحرج فى الحياة مع الآخرين .. من أجل هذا الضمير .

وان النفاق هو اقصر الطرق .. وايسرها لتفادى العقبات والأزمات .. وانه أيسر الطرق واقصرها كذلك فى تحصيل مطالب الذات .. وانه ايسرها واقصرها أيضا فى الاستمتاع بمادية الحياة .

... ومن هنا : كان المنافقون كثرة ، والمؤمنون قلة .. ومن هنا : كان صراع الحياة الانسانية .. أقسى أنواع الصراع فى الوجود كله .

وهذا الصراع امر حتمى على البشرية .. لأنه يستحيل أن يكون جميع الناس مؤمنين .. كما يستحيل أن يكونوا كلهم منافقين . والايمان ، والنفاق ، لا يدخل احدهما فى دائرة اختيار الانسان أيضا . بل المؤمن قدر عليه من تكوينه ، وعوامل نشأته .. أن يندفع الى الايمان .. كما قدر على المنافق من تكوينه وعوامل نشأته أن يستجيب الى النفاق .

والمؤمن بتكوينه ، وان كان مقدورا .. قوى .

والمنافق بتكوينه ، وان كان مقدورا .. ضعيف .

وهنا لا يوجد تكافؤ بين الاثني .

وهنا الغلبة والنصر أخيرا للمؤمن . لأن الضعيف .. أسرع فى الانطواء وأقل جدلا واحتمالا فى الاستمرار ... ولأن المنافق يرى قدرته فى ضعفه ، ووصوليته فى انطوائه وفى عدم معارضته .. ويرى حياته فى تقلبه ذات اليمين وذات الشمال .

وهكذا : الآية القرآنية الاولى هنا : تحدد الخطوط العمامة لدين الانسانية .

... تحدد مبدأ المساواة فى الاعتبار البشرى ،

... ومبدأ الاختلاف فى الخصائص .. كأساس للألفة والتعارف .

... ومبدأ التفاضل في القيمة .. على أساس من النمو ومدى البلوغ في مستوى الانسانية ..

والآية الثانية توضح معيار التقييم والتفاضل . وهو معيار صداق فيما يعبر عنه ... جوهره : الايمان بالله وبالانسانية .
... ومظهره : الصور العملية التطبيقية لهذا الايمان .
وهي صور لا تكذب ولا تخدع .

... نداء الاسلام الى الانسانية :

والاسلام ، باعتبار كونه رسالة الالهية ، في كل عهد ولكل رسول ارسل .. عندما ارسل به محمد صلى الله عليه وسلم طلب الى اتباعه :
... اولا : ان يستوعب ايمانهم جميع الرسالات السابقة . لانها جميعها تحكى الاسلام . والاسلام دين الله ، وليس دين رسول خاص :

((انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان ، واتينا داوود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليماً)) (١) .

... ((قل آتينا باله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فقلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)) (٢) .

... ثم طلب ثانيا الى غير التابع له :

ان يحتكموا هم والتابع جميعا الى جوهر الرسالة الالهية ، والى اصولها العامة الثابتة التي لم تتغير اطلاقاً . فان حكيمة متغيرة ، كانت محرفة يقينا . لأن الرسالة عندئذ ستفقد قيمتها في التوجيه .

((قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ، فان تولوا فقلوا انشهدوا باننا مسلمون)) (٣) .

(١) النساء : ١٦٣ ، ١٦٤ . (٢) آل عمران : ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) آل عمران : ٦٤ .

... فوحدانية الله في العبادة ... أصل في رسالة الله لا يتغير ..
وهي الأساس لالتقاء البشرية وعدم تفرق شعوبها ..
وأساس كذلك في استقرار الحرية الفردية ، والحرية الجماعية .
فالاعتقاد في الإيمان بالله : بأنه واحد لا شريك له .. يحمل على
الوحدة في التوجيه والاتجاه ... والكل يتجه نحو وجهة واحدة .. والكل
يتحرك في ظل توجيه واحد .
وعناء البشرية .. هو في فرقتها .. وفي تنازعها .. واضطرابها ..
هو في تعدد توجيهها .
والقيم الانسانية :
ليس لها الامدلول واحد ..
وليس لها الاخط سير واحد ..
وليس لها في تحققها وتطبيقها الا امرة واحدة .
ويوم تفرق البشرية وتختلف ، بالاتجاه .. يوم تتنازع في مفهوم
القيم .. وفي السبيل الموصلة اليها وفي تطبيقها .
واتخاذ الناس بعضهم لبعض اربابا من دون الله .. لا يدل على
انقسام البشرية الى غير عودة الى وحدة في الاتجاه فحسب .. وانما
يدل قبل ذلك على التراجع في مستوى البشرية .
فعبادة انسان انسانا مثله .. هي عبادة مساو لمساو آخر ..
نظيره في الاعتبار .
ولا يكون ذلك .. الا اذا فقد العابد شعوره بقيمته .. فانزل نفسه
منزلة ادنى .. او تصور في المعبود ما ليس له .. فرفعه الى ما فوق
مستواه ..
وهذا يدل : على ان هناك عنصرا اجنبيا غير انساني اثر في التقدير .
والانسان بذلك غير منحرر .. وهو واقع تحت تأثير وهم .. او خوف .
وغرد يذهب به اعتقاده الى عبادة مساو له .. لا يتمتع بحريته
الفردية في التقدير والحكم .. ومجتمع يتكون من مثل هذا الفرد ..
مجتمع تنقصه اخص ظاهرة من ظواهر الانسانية .. وهي : الحرية في وزن
الامور .. والتصميم على تنفيذ الراجح منها .

... ما يعلمه الاسلام :

إذا قرىء قوله تعالى :

((ان الله يامر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ..))(١) .

... يتضح أن تعاليم الاسلام .. تصوب أهدافها نحو الانسانية فى تحقيق أرفع صورة لها .. وفى دفع ما يسقطها عن مستواها .
تطلب هذه الآية :

، العدل

، والاحسان

والعدل : هو اعطاء حق فى مقابل حق ... هو توازن بين الأخذ والعطاء . وهو سمة أولى على تحقق معنى الانسانية فى الانسان .. وعلى انتقاله فى تصرفه من تحكم الأناية الى الاحساس الجماعى .. والى التجاوب فى العلاقات بين أفراد المجتمع .

والاحسان : هو اعطاء أكثر فى مقابل أقل ، أو فى غير مقابل أصلاً .. وهو بذلك تعبير أكثر وضوحاً عن انسانية الانسان من العدل . وأخص ما فيه : أن العدل لوجود معنى التقابل فيه .. لا ينطوى على اختيار الانسان وحرية .. مثل ما ينطوى عليه الاحسان .

واختيار الانسان وحرية معادلة .. تساوى الانسانية فى جوهرها
الأصيل :

● فدفع الاعتداء بمثله .. عدل : **((فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم))(٢) .** « **جزاء سيئة سيئة مثلها** » (٣) .

... ولكن الصفح والعفو عند المقدرة على رد الاعتداء .. احسان :
((فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، انه لا يحب الظالمين))(٤) .

● وأخراج الزكاة .. عدل ، لأنه حق مفروض للآخرين : **((انما الصدقات للفقراء والمساكين ...))(٥) .**

(٢) البقرة : ١٩٤

(٤) الشورى : ٤٠ .

(١) النحل : ٩٠ ،

(٣) الشورى : ٤٠ .

(٥) التوبة : ٦٠ .

... ولكن الانفاق من المال بعدها ، لسد حاجات المجتمع وإفراجه .. احسان : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الفیظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » (١) .

● وعدم اعطاء المال للسفيه ، مع التكفل برزقه ومعيشته منه .. عدل : « ولا تؤنوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قیاسها وارزقوهم فیها واكسوهم ... » (٢) .

... ولكن اشعاره بكرامته الانسانية .. احسان : « وقولوا لهم قولا معروفا » (٣) .

● واعطاء المطلقة التي لم يدخل بها نصف صداقتها .. عدل : « وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » (٤) .

... ولكن العفو من الزوجة عن النصف الذي هو حق وعدل لها ... او العفو من الزوج وترك المهر كله للزوجة عندئذ .. احسان : « الا ان يعفون أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح ، وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم » (٥) .

● واخذ جزء من مال اليتيم ، لقاء مباشرة استثمار المال له والحفاظ عليه .. عدل .. ولكن رعاية ماله في غير مقابل .. احسان : « ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف » (٦) .

● ودفع الدية الى أهل المقتول قتلا خطأ من المؤمنين .. عدل : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله » (٧) .

... وتنازل الأهل عن هذه الدية .. احسان : « ألا أن يصمقوا » (٨) .

واعطاء الاحسان .. هو من انسانية الانسان . وليس بلازم لذلك ان يترجم في مال ... هو من شعوره العميق بمعنى الانسانية المشتركة بينه وبين غيره .

(٢) النساء : ٥

(٤) البقرة : ٢٣٧

(٦) النساء : ٦

(٨) النساء : ٩٢

(١) آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤

(٣) النساء : ٥

(٥) البقرة : ٢٣٧

(٧) النساء : ٩٢

وأمر الإسلام بالعدل ، والاحسان .. تكليف للفرد بمباشرتها من نفسه ، وبوحى مشيئته واختياره .- وإتيان كل فرد لهما .. ليس عن طريق الالتزام الخارجى ، خشية أن يصير هذا الالتزام الخارجى دستوراً للعمل فى حياة الأفراد والمجتمع . وبذلك يضعف ضمير الفرد فى الدفع أو يتوقف ، ويكون الدفع كله للعامل الخارجى .. وعندئذ تتحرك حياة الإنسان بغير إنسانيته ... تتحرك بغير حريته ومشيئته ..

.. ووضع الالتزام الخارجى للتنفيذ فى الإسلام .. هو وضع استثنائى .. يلجأ إليه إذا اقتضت ضرورة بقاء المجتمع وصيانتته من التدهور .. واندخل فى حمل الأفراد على أداء ما كلفوا به .

والمجتمع الحديث إذا صاغ تعاليم الإسلام فى قوانين ، وألزم اتباعها بالسلطة التى خصصها للتنفيذ .. لا يكون قد حقق غاية الإسلام . إذ غاية الإسلام الأولى مباشرة الإنسان الحياة الإنسانية بالمشيئة والاختيار .. وبالدفء الذاتى عن طريق الإيمان بالله .

... وتطلب الآية أيضا . إيتاء ذى القربى .. بجانب ما تطلب من عدل واحسان ، فى السلوك الإنسانى . وإيتاء ذى القربى .. قصد به تدعيم أوامر الصلوات فى الأسرة الواحدة .. كى يكون هناك تجاوب نفسى بين أعضائها وصفاء لا يشوبه حقد : ضعيف على قوى .. ولا فقير على غنى .. ولا مريض على صحيح .

والأسرة القوية هى أساس المجتمع القوى ، ومظهر لحضارته الإنسانية .

وإذا كانت الحضارة الصناعية استتبعته تفكك العلاقات الأسرية ، تحت تأثير العامل الاقتصادى فى استقلال أعضائها . فان ذلك لا يعنى : أن تفكك العلاقات الأسرية ... سمة للتقدم الإنسانى والحضارة الإنسانية . إذ أمانة التقدم الإنسانى وبالتالي تقدم الحضارة الإنسانية .. هى فى : « الاحساس الإنسانى الجماعى الذى جعله « أوجست كونت » : دليلاً على التحول : من الغريزة الى العقل والعلم .. ومن الحيوانية والانانية الى الإنسانية .

وإذا كانت الحضارة الصناعية مظهراً لتقدم العلم فى الجانب المسمى للحياة .. فليس من الضرورى قطعاً أن تكون آية رقيه فى مباشرة الإنسانية وتطبيق خصائصها فى المجال السلوكى والعلمى ..

... وبالعدل .. والاحسان .. وإيتاء ذى القربى .. يتحقق التحول

في القرد من حيوان تطغى عليه الفرائز... إلى انسان يمارس بعضه وقلبه
خصائص الانسان .

ثم ما جاء في بقية الآية من النهي عن الفحشاء ، والمنكر ، والبغى...
ان هو الا تأكيد للبقاء في دائرة الانسانية .

اذ تجنب الانسان ما هو مستحب في التصرف ، ويمكن في السلوك...
فضلا عن تجنب العدوان والظلم تحت دفع الضمير والايمان بالله .. يزيد
في توجيه الاهتمام الى مباشرة العدل والاحسان ، اللذين هما .. الظاهرتان
الدالتان على وجود الانسان بالفعل في محيط الانسانية ، وتحققه فيه .

وان كان « كونت » يؤثر التعبير « بالاحسان الجماعى » كآية على
التحول في الانسان بجانب العلم .. فالاسلام يؤثر التعبير : بـ « الفؤاد »
عن هذا الاحساس .. وبالسَّمْع والبصر .. عن العلم .

والعلم بمفهومه الخاص .. هو ما كانت وسيلته الملاحظة والتجربة ..
والسمع والبصر هما طريق هذه الملاحظة والتجربة .

والاسلام ، بقدر ما يعيب على من لا يشغل فؤاده بالايمان بالله دفعا
نحو السلوك الانسانى السوى .. يعيب على من لا يستخدم سمعه وبصره
في الوصول الى الحق والحقيقة . اذ كل من الاول والثانى معطل لانسانيته
من النمو .. ولذاته من التحول .

واذ يقول القرآن في آية اخرى :

« وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون » (١)

... يريد ان يلفت نظر الانسان الى عناصر انسانيته في ذاته ..
او الى مصدر انسانيته على الحقيقة ، ويشير الى ان : اعداد الانسان بها
نعمة كبرى تستحق الشكر والثناء باستمرار . والشكر والثناء هنا هو : في
ممارستها واستخدامها .. ليكون الانسان في معرفته وعلمه ، غير خاضع
لخرافة ، ولا لتقليد ، او عرف .. ويكون في سلوكه غير متأثر بفرائزه
وانانيته ..

واذا بدا الاسلام الآن .. كنظام او كمجموعة من المبادئ على نحو
انه :

(١). السجدة : ٩ .

- ينظر الى الناس جميعا نظرة مساواة في الاعتبار الانساني ،
- ويفاضل بين أفرادهم بالمدى في المستوى الانساني وحده .. وليس بالعرض : من مال ، أو جاه ، أو سلطة ،
- ويأمر وينهى ، بما يعين الانسان على مباشرة انسانيته ...
- يأمر بالعدل ، والاحسان ، وينهى عما يعوق ذلك : من الفحشاء والمنكر والبغى .. كى يتيح للاحاساس الجماعى أن يقوى ويتأكد ،
- ويهتم بمصادر الانسانية في الانسان ، ويطلب من الانسان : أن يشكر الله بالمباشرة والتطبيق على نعمة الفؤاد ، كمصدر للايمان بالله والانسانية .. على نعمة السمع والبصر كمصدر للعلم نحو الحق والحقيقة ،

● ورسالته هي : رسالة الله للانسانية ، منذ وجد الانسان على هذه الأرض : لا تفرق بين واحد وآخر من الرسل .. ولا كتاب دون كتاب أنزل . ونداؤها هو : نداء الانسانية جميعها . وتعاليمها وفق الطبيعة البشرية في خصائصها .. في نظريته .. في مقاييسه .. في مبادئه وتعاليمه .. في مطلوبه : ينشد الانسان في انسانيته ... ينشد تحوله ونقلته : من كائن غرزي أنانى . الى كائن انساني جماعى .

... واذا بدا الاسلام الآن على أن له هذه الخصائص .. فتلك صفات دين الانسانية . على أنه بالاضافة الى ذلك ، باعتباره أنه رسالة الله .. يتميز :

أولا : بالايمان بالله ، وهو سر الدفع ، الذى لا ينفرد ولا يضعف ، للانسان نحو انسانيته .

ثانيا : بالتركيز على مشيئة الانسان واختياره ، فيما يعمل ويتصرف ويسلك ... ومن أجل ذلك يرى الحرية الانسانية هي الانسانية نفسها .. ولا يرى فرض الالزام الا عند الضرورة .

ثالثا : بالايمان باليوم الآخر ، لا خداعا ولا تغييرا بالانسان .. ولكن لتحقيق انسانية الانسان في حياته الدنيا .

... فعن طريق الايمان باليوم الآخر ، ينقل بعض رغبات الانسان من هذه الدنيا ويرجأ الى الدار الآخرة .. تخفيفا من التراحم على متع هذه الحياة . فاذا خف التراحم ... كان هناك مكان للعدل .. وتحقق هذا

العدل عن مشيئة واختيار ، وليس عن قهر والزام . . . وبالتالي : كان هناك مكان للمحبة والتواد بين الأفراد .

وإذ يقول القرآن في بعض آياته الأخرى :

« فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » (١) .

. . . إذ يقول القرآن ذلك . . . يصور حياة المؤمنين بالاسلام :

. . . فيضعهم في تحقيق الرغبات . . . بين ما في هذه الدنيا وما في الآخرة ، لا تنفيرا من الدنيا . . . ولكن تقليلا من التكاليف والتهاون والتزام على متعتها .

فإن هم خفوا منها كان تخفيف الانسان صاحب المشيئة . . . كان تخفيف الراضى ، وليس تخفيف المبعد أو المكره .

. . . ثم يصفهم بأنهم :

يتوكلون على ربهم ، مستعينين به في أعمالهم وسعيهم . فإن هم توكّلوا . . . اخلصوا في العمل والسعى وبذلوا غاية الجهد . لأن نفع التوكل على الله . . . رهن باستنفاد الطاقة البشرية ، وممارسة العزم الانساني في مباشرة العمل :

. . . كما وصفهم بأنهم :

يجتنبون كبائر الإثم والفواحش . وهذا كاف في الأمانة على السلوك الانساني والاحساس الجماعي . إذ يستحيل على انسان : أن يترك كل خطأ ، مهما كان شأن ايمانه .

لأن الانسان صاحب الغريزة والعقل ، وصاحب الحيوانية والانسانية معا . . . يختلط بعضهما ببعض .

. . . وبأنهم : يغفرون عند الغضب . وتلك أمانة أخرى على الاحسان ، الذى هو غاية الانسانية في الانسان . . . وبأنهم قد استجابوا لما أمر به الله ونهى عنه ، وبالأخص ما أمر به من : إقامة الصلاة ،

(١) الشورى : ٣٦ — ٣٩

والشورى فى الأمر ، والاتفاق من المال . اذ الصلاة والمدائمة عليها رمز الصلة فى الايمان بالله . وبباشرة الشورى والاتفاق كلاهما اشارة على التخلص من الانانية . فلا استبداد فى الراى ، ولا تقتير فى المال .
والتخلص من الانانية عنوان الاحساس الجماعى .

... كما وصفهم أخيراً :

بانهم اذا أصابهم البغي .. هم ينتصرون . فوصفهم مع كونهم انسانيين فى المعاملة يعغفرون عند الغضب ، ولا يعتدون ولا يظلمون .. واذا وقع عليهم ظلم وعدوان .. هم يدفعونه بقوة ايمانهم ، وبقوتهم المادية واعدادهم المعنوى ... لا يتوانون ولا يستسلمون .

... فالمؤمنون بالاسلام ، كما تصورهم هذه الآيات ، يكونون :

مجتمعا انسانيا فى سلوكه .

وفى معاملاته ،

وفى المحافظة على بقائه .

... ايمانهم بالآخرة .. ليدفع نشاطهم فى هذه الدنيا قدما ، وليدفع بعضا منهم من تحصيلها ، على حسب ما يهون ويشتهون ... وليس للتغريب بهم وخذاعهم ..

... وتوكلهم على ربهم : لا لتعطلهم وعدم سعيهم .. وانما لزيادة حيزهم على العمل المرضى ... وعلى السعى الانسانى الكريم . والا لو كان التوكل هو : التعطل ... فقيم يدافع المؤمنون عندما يقع عليهم الظلم ؟ ... وقيم يجتنبون كباثر الاثم والفواحش ؟ ... وقيم ينفقون من اموالهم ؟

... وتجنبهم كباثر الاثم والفواحش وكذا انفاقهم من اموالهم يتطلب ارادة وعزما قويا .

... والمتعطل هو متعطل اول الأمر .. من الارادة .. قبل تعطله من العمل .

وهذه الخصائص التى للاسلام كدين سماوى ، بجانب صلاحيته للانسانية بمبادئه وبنظراته ، وبقوى الدفع فيه .. تحول دون أن يكون هناك بديل عنه : من صنع الانسان ... كما طلب « كونت » .

فاذا احتاج التوجيه الانسانى الى دين للانسانية ، وهو فى حاجة قطعاً .. فليس ذلك الدين .. الا : الاسلام ... لأنه رسالة الله .. لم تحرف ولم تبدل .

وهو الله فهو للناس كافة ، لأنه وحده رب الناس جميعا .

* * *